

بسم الله الرحمن الرحيم

المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير (١)

بين يدي سورة البقرة وتفسير الآية الأولى منها

الشيخ/ خالد بن عثمان السبت

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .
قال المفسر -رحمه الله تعالى-:

تفسير سورة البقرة.

"في مسند أحمد وصحيح مسلم والترمذي والنسائي عن أبي هريرة -رضي الله تعالى عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: ((لا تجعلوا بيوتكم قبوراً فإن البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة لا يدخله الشيطان))^(١) وقال الترمذي: حسن صحيح."

ف قوله هنا: ((البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة)) قد يفهم من هذا القدر -مع البناء للمجهول- أن ذلك يحصل بمجرد القراءة، سواء كان عن طريق إنسان يقرأ في بيته أو عن طريق التسجيل فإن الشيطان يفر من هذا البيت، ولا شك أن القراءة تعبد الله -عز وجل- الناس بها، فالأكمل والأفضل أن يقرأ الناس في بيوتهم سورة البقرة، ولكن إذا حصل ذلك بالتسجيل أيضاً فيقال: لا يمنع؛ فكثير من الناس خاصة الذين يعانون من أشياء في بيوتهم يقولون: قد لا نتفرغ كل يوم لقراءة سورة البقرة، فإذا وضع التسجيل فإنه يكون مؤثراً في طرد الشيطان، وأثر ذلك مشاهد.

قبل أيام اتصلت إحدى النساء تقول: يوجد في بيتهم فأر كبير، يخرج من دورة المياه ويجلس تحت سرير النوم، تقول: فوضعنا له السم فأكل منه ثم اختفى ولم نجد له أثراً، تقول: وهذه الساعة تغطت جدران غرفة النوم بذباب كثير كبير الحجم على قدر رعوس الأصابع ما رأيت مثله، ولا يوجد له مدخل أصلاً، ولا يوجد من قبل ذباب في بيتنا أصلاً لا صغير ولا كبير، ولسنا في مكان زربية أو نحو ذلك.

فقلت لها: اجلسي الآن في نفس الغرفة، وافتحي النوافذ واقري سورة البقرة، فاتصلت عند العصر تقول: إن الذباب خرج بعد ما انتهيت من السورة.

ولا زلت أذكر شخصاً كان مغمى عليه أو شبه مغمى عليه حيث كان فيه مس، وكان يشغل شريطاً يقرأ سورة البقرة وكان هذا الشخص يبكي وهو نائم، ويتكلم بكلام مفاده أنه يرى الشيطان الذي يؤذيه ويصرعه، كان يراه يدور على البيت يحاول الدخول ولا يستطيع، وهو يقول لأصحابه: لا تغادروا المكان.

^١ - أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها - باب استحباب صلاة النافلة في بيته وجوازها في المسجد (٧٨٠) (ج ١ / ص ٥٣٩)، والترمذي في كتاب فضائل القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم - باب ما جاء في فضل سورة البقرة وآية الكرسي (٢٨٧٧) (ج ٥ / ص ١٥٧)، وأحمد (٩٠٣٠) (ج ٢ / ص ٣٨٨)، وصححه الألباني في تلخيص أحكام الجنائز (ج ١ / ص ٨٦).

لقد كان الشيطان يحاول أن يدخل ويدور على السور، وكان الرجل يتكلم ويبيكي وهو نائم ويحاول مد يده يريد أن يمسك يد أحدهم، وكان يقول: لا تذهبوا عني انتظروني، وكان يسميهم بأسمائهم كل ذلك وهو مغيب عن عقله.

هذا شيء رأيته، وعلى كل حال عندنا الحديث، والحمد لله، ما يحتاج أن نرى شواهد تدل عليه.
"عن عبد الله يعني ابن مسعود -رضي الله تعالى عنه- قال: "إن الشيطان يفر من البيت يسمع فيه سورة البقرة"^(٢) ورواه النسائي في اليوم والليلة وأخرجه الحاكم في مستدركه، ثم قال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

على كل حال مثل هذا لا يقال من جهة الرأي فله حكم الرفع، فهذه الأحاديث كلها في هذا المعنى وغير هذه الأحاديث.

بعض هذه الأحاديث مثل أثر ابن مسعود هذا فيه ضعف، وعدد من الأحاديث الواردة في هذا الباب فيها ضعف، لكن بعضها يجبر بالشواهد فترتقي إلى مرتبة الحسن، وبعضها ربما يكون دون ذلك، والله أعلم.
"وروى الدارمي في مسنده عن ابن مسعود -رضي الله تعالى عنه- قال: "ما من بيت تقرأ فيه سورة البقرة إلا خرج منه الشيطان وله ضراط"^(٣).

وهذا أيضاً من الروايات التي فيها ضعف، لكن بعض أهل العلم يجعل هذا مع غيره من قبيل الحسن، يعني أنه يتقوى بغيره، ولذلك خرجوه في هذا الكتاب.

وعلى كل حال يبقى أن أساس المعنى أو القدر الثابت هو أن الشيطان لا يمكن أن يبقى في بيت تقرأ فيه سورة البقرة.

"وروي أيضاً من طريق الشعبي قال: قال عبد الله بن مسعود -رضي الله تعالى عنه-: "من قرأ عشر آيات من سورة البقرة في ليلة لم يدخل ذلك البيت شيطان تلك الليلة، أربع من أولها وآية الكرسي وآيتان بعدها وثلاث آيات من آخرها"^(٤)، وفي رواية: "لم يقربه ولا أهله يومئذ شيطان ولا شيء يكرهه، ولا يُقرآن على مجنون إلا أفاق"^(٥).

وعن سهل بن سعد -رضي الله تعالى عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: ((إن لكل شيء سناماً، وإن سنام القرآن البقرة، وإن من قرأها في بيته ليلة لم يدخله الشيطان ثلاث ليال، ومن قرأها في بيته نهاراً لم يدخله الشيطان ثلاثة أيام))^(٦) رواه أبو القاسم الطبراني وأبو حاتم وابن حبان في صحيحه، وابن مردويه.

2 - سنن النسائي الكبرى - كتاب عمل اليوم والليلة (١٠٨٠٠) (ج ٦ / ص ٢٤٠)، وصحيح الترغيب والترهيب (ج ٢ / ص ٨٦).

3 - سنن الدارمي (٣٣٧٥) (ج ٢ / ص ٥٣٩)، قال حسين سليم أسد: إسناده ضعيف فطر متأخر السماع من أبي إسحاق السبيعي.

4 - سنن الدارمي (٣٣٨٢) (ج ٢ / ص ٥٤١)، والطبراني في الكبير (٨٦٧٣) (ج ٩ / ص ١٣٧)، وقال حسين سليم أسد: رجاله ثقات غير أنه منقطع الشعي لم يسمع من ابن مسعود.

5 - سنن الدارمي (٣٣٨٣) (ج ٢ / ص ٥٤١)، وقال حسين سليم أسد: إسناده منقطع كسابقه.

6 - أخرجه ابن حبان في صحيحه (٧٨٠) (ج ٣ / ص ٥٩)، والطبراني في الكبير (٥٨٦٤) (ج ٦ / ص ١٦٣) وأبو يعلى في مسنده (٧٥٥٤) (ج ١٣ / ص ٤٦٥)، وقال الألباني في

صحيح الترغيب والترهيب (ج ٢ / ص ٨٧): حسن لغيره.

وهذا الحديث أيضاً فيه ضعف في الإسناد، ولكن الجملة الأولى: ((إن لكل شيء سناماً، وإن سنام القرآن البقرة)) ورد فيه أيضاً روايات أخرى ضعيفة عن ابن مسعود وعن ثلاثة من الصحابة أو أربعة، وكلها لا يخلو من ضعف، ولكن بعض أهل العلم يري أن هذه الجملة تتقوى بغيرها من الروايات، وهذه الروايات الضعيفة يقوي بعضها بعضاً، فيرون أن هذه الجملة: ((إن لكل شيء سناماً وإن سنام القرآن البقرة)) ترتقي إلى مرتبة الحسن.

"وقد روى الترمذي والنسائي وابن ماجه عن أبي هريرة -رضي الله تعالى عنه- قال: "بعث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بعثاً وهم ذوو عدد، فاستقرأهم فاستقرأ كل رجل منهم ما معه من القرآن، فأتى على رجل منهم من أحدثهم سناً فقال: ((ما معك يا فلان؟)) قال: معي كذا وكذا وسورة البقرة، قال: ((أمعك سورة البقرة؟)) فقال: نعم، قال: ((فأذهب فأنت أميرهم)) فقال رجل من أشرافهم: والله يا رسول الله ما منعني أن أتعلم سورة البقرة إلا خشية ألا أقوم بها، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: ((تعلموا القرآن فاقروه وأقروه، فإن مثل القرآن لمن تعلمه فقراه وقام به كمثل جراب محشو مسكاً يفوح بريحه كل مكان، ومثل من تعلمه فتركه وهو في جوفه كمثل جراب وكى على مسك))^(٧) هذا لفظ رواية الترمذي، ثم قال: هذا حديث حسن، ثم رواه مرسلًا فالله أعلم."

معنى: ((جراب وكى على مسك)) يعني رُبط فلا تظهر رائحته.

وعلى كل حال حتى هذه الرواية من الروايات التي يمكن أن يقال عنها: إنها لا تخلو من ضعف في أقل الأحوال، وبعض أهل العلم يحسنها، وهذا ما فعله هؤلاء المختصرون.

"وروى البخاري عن أسيد بن حضير -رضي الله تعالى عنه- قال: بينما هو يقرأ من الليل سورة البقرة وفرسه مربوط عنده إذ جالت الفرس فسكت فسكنت، فقرأ فجالت الفرس، فسكت فسكنت الفرس، ثم قرأ فجالت الفرس، فأنصرف وكان ابنه يحيى قريباً منها فأشفق أن تصيبه، فلما اجتره رفع رأسه إلى السماء حتى ما يراها، فلما أصبح حدث النبي -صلى الله عليه وسلم- فقال: ((اقرأ يا ابن حضير اقرأ يا ابن حضير))، قال: فأشفت يا رسول الله أن تطأ يحيى وكان منها قريباً فرفعت رأسي وانصرفت إليه فرفعت رأسي إلى السماء فإذا مثل الظلة فيها أمثال المصابيح فخرجت حتى لا أراها، قال: ((وتدري ما ذاك؟))، قال: لا، قال: ((تلك الملائكة دنت لصوتك، ولو قرأت لأصبحت ينظر الناس إليها لا تتوارى منهم))^(٨)، وهكذا رواه الإمام العالم أبو عبيد القاسم بن سلام في كتاب فضائل القرآن، والله أعلم.

قال الإمام أحمد: حدثنا أبو نعيم حدثنا بشر بن مهاجر حدثني عبد الله بن بريدة عن أبيه -رضي الله تعالى عنه- قال: كنت جالساً عند النبي -صلى الله عليه وسلم- فسمعتة يقول: ((تعلموا سورة البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة))، قال: ثم سكت ساعة ثم قال: ((تعلموا سورة البقرة وآل عمران فإنهما الزهراوان يظلان صاحبهما يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيايتان أو فرقان من طير صواف، وإن القرآن يلقي صاحبه يوم القيامة حين ينشق عنه قبره كالرجل الشاحب، فيقول له: هل تعرفني؟ فيقول: ما

7 - أخرجه الترمذي في كتاب: فضائل القرآن - باب: ما جاء في فضل سورة البقرة وآية الكرسي (٢٨٧٦) (ج ٥ / ص ١٥٦)، وضعفه الألباني في ضعيف الترمذي برقم: (٥٤١).

8 - أخرجه البخاري في كتاب: فضائل القرآن - باب: باب نزول السكينة والملائكة عند قراءة القرآن (٤٧٣٠) (ج ٤ / ص ١٩١٦) والطبراني في الأوسط (١٨٠) (ج ١ / ص ٦٤).

أعرفك، فيقول: أنا صاحبك القرآن الذي أظمأتك في الهواجر وأسهرت ليلك، وإن كل تاجر من وراء تجارته، وإنك اليوم من وراء كل تجارة، فيعطى الملك بيمينه والخذل بشماله ويوضع على رأسه تاج الوقار، ويكسى والداه حلتين لا يقوم لهما أهل الدنيا، فيقولان: بما كسينا هذا؟ فيقال: بأخذ ولدكما القرآن، ثم يقال: اقرأ واصعد في درج الجنة وغرفها، فهو في صعود ما دام يقرأ هذاً كان أو ترتيلاً^(٩).

وروى ابن ماجه من حديث بشر بن المهاجر بعضه، وهذا إسناد حسن على شرط مسلم.

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد:

فهذا الحديث في فضل سورة البقرة، أما أوله وهو أن سورة البقرة كما قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: ((فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة)) فإن هذا له شواهد، وهو ثابت عن رسول الله -

صلى الله عليه وسلم-، وإن كان هذا الحديث من رواية بشر بن المهاجر.

وأما بقية الحديث وذلك من قوله بعد ذلك: ((وإن القرآن يلقي صاحبه يوم القيامة حين ينشق عنه قبره كالرجل الشاحب)) فإن لبعضه شواهد، ولكن ما قبله له شواهد صحيحة ثابتة من أول الحديث إلى هذا القدر، كما سيأتي فيما ذكره ابن كثير -رحمه الله- لذلك فإن بعض أهل العلم يصحح أول هذا الحديث ((إن أخذها بركة))، وكذلك ما جاء من قوله: ((تعلموا سورة البقرة وآل عمران فإنهما الزهراوان يظلان صاحبهما يوم القيامة، كأنهما غماتان..)) إلى آخره، وأما بقية الحديث فبعض الجمل التي لها شاهد يمكن أن تكون من قبيل الحسن لتلك الشواهد.

على كل حال الإشكال في بشر بن المهاجر، ومن ضعف روايته رد بقية الحديث، والحاصل أن بشر بن المهاجر فيه كلام كثير، بعضهم يضعفه، وبعضهم يباليغ في هذا، وبعضهم يجعل روايته من قبيل المقبول أو يوثقه، وصنيع المختصر هنا يدل دلالة أكيدة على أنه يحسن الحديث في أقل الأحوال.

قوله: ((فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة)): البطلة يعني السحرة.

ومعنى ((لا تستطيعها البطلة)) يعني: أي لا يمكنهم حفظها، أو أن من تحصن بها فإن السحرة لا يقدرّون على إيصال سحرهم إليه.

وقوله: ((تعلموا سورة البقرة وآل عمران فإنهما الزهراوان)) المقصود بالأزهر المضيء، يقال: سراج يزهر أي يضيء.

قوله: ((يظلان صاحبهما يوم القيامة كأنهما غماتان أو غيايتان)) وفي بعض الألفاظ: ((غيايتان)) بالباء، الغمام معروف وهو السحاب، و الغيايتان: كل شيء أظلك فهو غياية سواء كان من سحاب أو غبار أو غير ذلك، والغيايتان بـ الباء: هو أيضاً من هذا المعنى.

((أو فرقان من طير صواف)) أي تصف أجنحتها، وذلك أبلغ في التضليل.

"فمن ذلك حديث أبي أمامة الباهلي -رضي الله تعالى عنه- رواه الإمام أحمد.

^٩ - أخرج الشطر الأول منه الإمام أحمد (٢٣٠٩٩) (ج ٥ / ص ٣٦١)، وأخرجه بتسامه بألفاظ مقاربة الطبراني في الكبير (٧٥٤٢) (ج ٨ / ص ١١٨)، وذكره الحاكم في المستدرک (٢٠٥٧) (ج ١ / ص ٧٤٧) وأصله في صحيح مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها- باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة (٨٠٤) (ج ١ / ص ٥٥٣).

وعنه قال سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: ((اقرأوا القرآن فإنه شافع لأهله يوم القيامة، اقرعوا الزهراوين البقرة وآل عمران فإنهما يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان، أو كأنهما غيابتان، أو كأنهما فرقان من طير صواف يحاجان عن أهلها يوم القيامة، ثم قال: اقرعوا البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة))^(١٠) وقد رواه مسلم في الصلاة.

الزهراوان: المنيرتان، والغياية: ما أظلك من فوقك، والفرق: القطعة من الشيء، والصواف: المصطفة المتضامة، والبطلة: السحرة، ومعنى لا تستطيعها أي لا يمكنهم حفظها، وقيل: لا تستطيع النفوذ في قارئها، والله أعلم.

ومن ذلك حديث النواس بن سمعان -رضي الله تعالى عنه- رواه الإمام أحمد عنه قال: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: ((يؤتى بالقرآن يوم القيامة وأهله الذين كانوا يعملون به تقدمهم سورة البقرة وآل عمران))، وضرب لهما رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ثلاثة أمثال ما نسيتهن بعد، قال: ((كأنهما غمامتان أو ظلتان سوداوان بينهما شرق، أو كأنهما فرقان من طير صواف يحاجان عن صاحبهما))^(١١) ورواه مسلم والترمذي وقال حسن غريب.

معنى ((بينهما شرق)): يعني بينهما فاصل.

وهذا الحديث يفسر الحديث الذي قبله، فإن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال في الذي قبله: ((فإنهما يأتيان يوم القيامة..)) إلى أن قال: ((يحاجان عن أهلها)): فما المراد بـ أهلها هل هو مجرد الحفظ إن كان حافظاً لهما؟

لا، بل إن المقصود يفسره قول النبي -صلى الله عليه وسلم-: ((يؤتى بالقرآن يوم القيامة وأهله الذين كانوا يعملون به))، فأصحاب البقرة وآل عمران هم الذين يحفظونها ويفهمون معانيهما ويعملون بهما، ولهذا بقي ابن عمر -رضي الله عنه- ثمان سنين يحفظ سورة البقرة، وبقي عمر -رضي الله عنه- اثنتي عشرة سنة يحفظها، ثم نحر جزوراً ودعا الناس فرحاً واستبشاراً بهذا الإنجاز.

ولذلك كان الرجل إذا أخذ البقرة عظم في أعينهم؛ لأنه صار فقيهاً؛ لأنها تشتمل على أكثر الأحكام، فهي أكثر سور القرآن اشتمالاً على الأحكام وأطول سور القرآن، فمن عرف هذه الأحكام التي في سورة البقرة، فإنه يمر به كثير مما يذكر في التفسير بعدها، فتكون بقية الأمور التي تذكر في الغالب مكررة، أعني مما يحتاج إليه في فهم التفسير من جهة الأصول، والقواعد وما أشبه ذلك.

وعلى كل حال هنا سؤال يرد في مثل هذه الأحاديث وهو أن هاتين السورتين تأتيان كأنهما ظلتان أو غيابتان، ومعلوم أن القرآن كلام الله -عز وجل- وهو صفة من صفاته، فما المراد بذلك؟

المراد بذلك الثواب أي: ثواب القرآن أو قل: ثواب وأجر قراءة سورة البقرة وآل عمران وأجر العمل والتدبر لهما، والله أعلم، وهذا الذي ذكره جماعة من أهل العلم كالإمام أحمد والبخاري، وذكره شيخ الإسلام ابن تيمية

¹⁰ - صحيح مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها- باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة (٨٠٤) (ج ١ / ص ٥٥٣).

¹¹ - أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها- باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة (٨٠٥) (ج ١ / ص ٥٥٤)، والترمذي في كتاب: فضائل القرآن عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- باب: ما جاء في سورة آل عمران (٢٨٨٣) (ج ٥ / ص ١٦٠).

-رحمه الله- في المجلد الخامس من الفتاوى في صفحة ثلاثمائة وسبعة وتسعين تقريباً، وكذلك ابن القيم في مختصر الصواعق صفحة أربعمائة تقريباً من الجزء الثاني في المختصر، وكذلك ذكره الترمذي قبلهم، ذكره في السنن.

كذلك الأحاديث الأخرى مثل قوله صلى الله عليه وسلم- كما في الصحيحين-: **(مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأترجة))**، جاء في لفظ البخاري: **(المؤمن الذي يقرأ القرآن ويعمل به كالأترجة))**^(١٢)، فلا بد من العمل بالقرآن أي أن مجرد القراءة لا تكفي.

وكذلك الحديث الآخر: **(الماهر بالقرآن مع السفارة الكرام البررة))** جاء في بعض الروايات الثابتة في الصحيح: **(مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن وهو يحفظه مع السفارة الكرام البررة))**^(١٣) يعني مع الملائكة، والسفيرة أي: سفراء بين الله وخلقه، فيكون بهذه المنزلة إذا كان يحفظ وليس مجرد أن يقرأ مجرد قراءة، وقوله: **(والذي يقرأ القرآن ويتتبع فيه وهو عليه شاق له أجران))**^(١٤) يعني يتتبع في الحفظ، أي أن حفظه فيه ضعف.

وأما بالنسبة لحديث: **(يَوْمَ الْقَوْمِ أَقْرؤُهُمْ لِكِتَابِ اللَّهِ))**^(١٥) فهي مسألة أخرى إذ يحتمل أن يكون على ظاهره، والمقصود به الأحفظ؛ لأنه قال بعده: **(أعلمهم بالسنة))**؛ لأن الفقه يكون بالعلم بالسنة مع القرآن فلا يكون فقيهاً ما لم يعلم بالسنة، فظاهر هذا يدل على أن المقصود الحفظ.

ويحتمل معنى آخر وهو أن يكون في ذلك الحين أقرأهم أي يكون فقيهاً، كما سبق في ذكر ابن عمر أنه حفظ سورة البقرة في ثمان سنين، ولذلك إذا قيل: القراء في ذلك الوقت -كأن يقال: قتل سبعون من القراء في بئر معونة- فهؤلاء علماء وليسوا مجرد حفاظ أو كثيري القراءة فقط، فهم ما كانوا مثلنا الآن، تجد الواحد يحفظ ولا يفهم شيئاً مما يحفظ، فقول القائل: دخل القراء على عمر -وكان القراء هم أهل مجلسه- المقصود بهم العلماء، وكذلك ما ورد من بعض الآثار بأن أكثر مناقبي هذه الأمة قراؤها فإن المقصود به أهل العلم وطلاب العلم.

"والبقرة جميعها مدنية بلا خلاف، وهي من أوائل ما نزل بها، لكن قوله تعالى فيه: **{وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ}** [سورة البقرة] الآية، يقال: إنها آخر ما نزل من القرآن."

سورة البقرة لا شك أنها سورة مدنية، وهذا نقل عليه الإجماع غير واحد، وهي أول سورة نزلت في المدينة، لكنها لم تنزل جملةً.

12 - أخرجه البخاري في كتاب: فضائل القرآن - باب: إثم من رأى بقراءة القرآن أو تأكل به أو فخر به (٤٧٧٢) (ج ٤ / ص ١٩٢٨)، ومسلم في كتاب: صلاة المسافرين وقصرها - باب: فضيلة حافظ القرآن (٧٩٧) (ج ١ / ص ٥٤٩) واللفظ للبخاري.

13 - أخرجه البخاري في كتاب: التفسير - باب: تفسير سورة عيس (٤٦٥٣) (ج ٤ / ص ١٨٨٢)، ومسلم في كتاب: صلاة المسافرين وقصرها - باب: فضل الماهر بالقرآن والذي يتتبع فيه (٧٩٨) (ج ١ / ص ٥٤٩) واللفظ للبخاري.

14 - أخرجه البخاري في كتاب: التفسير - باب: تفسير سورة عيس (٤٦٥٣) (ج ٤ / ص ١٨٨٢)، ومسلم في كتاب: صلاة المسافرين وقصرها - باب: فضل الماهر بالقرآن والذي يتتبع فيه (٧٩٨) (ج ١ / ص ٥٤٩) واللفظ لمسلم.

15 - أخرجه مسلم في كتاب: المساجد ومواضع الصلاة - باب: من أحق بالإمامة (٦٧٣) (ج ١ / ص ٤٦٥).

وهنا ابن كثير يشير إلى أن بعضها قد تأخر نزوله فهي نزلت مفارقةً، ولذلك فإن آخر ما نزل من القرآن على الإطلاق على الراجح أنها الآيات التي في آخر سورة البقرة -آيات الربا وقوله تعالى: **{وَأَتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ}** وآية الدين، ولذلك فمن قال: إن آخر ما نزل آية الدين فلا شك أنها في الترتيب هي آخر هذه الآيات نزولاً بالترتيب، فيصح أن يقال: إن هذا آخر ما نزل من القرآن، بمعنى أنها نزلت مجتمعة أعني هذه الآيات التي في آخر البقرة، وهذا أقوى ما قيل في آخر ما نزل مطلقاً، كل ذلك مع أن سورة البقرة هي أول سورة نزلت في المدينة، لكن آخر ما نزل من السور هي سورة براءة ولم تنزل كاملة.

وآخر ما نزل من السور مشتملة على الأحكام سورة المائدة، لهذا تجدون في بعض الروايات أن سورة المائدة هي آخر ما نزل، والمعنى في الأحكام، وسورة براءة آخر ما نزل من السور وليس جميع سورة براءة، إذ من المعلوم أن صدرها نزل عام تسع في حجة أبي بكر -رضي الله تعالى عنه- وجملة كبيرة منها نزلت في مرجع النبي -صلى الله عليه وسلم- من غزوة تبوك.

"يقال: إنها آخر ما نزل من القرآن ويحتمل أن تكون منها، وكذلك آيات الربا من آخر ما نزل، وكان خالد ابن معدان يسمي البقرة فسطاط القرآن."

خالد يسمي هذه السورة بسورة الفسطاط، وسبق الكلام على هذا في الكلام على أسماء السورة، حيث ذكرنا لها نحو سبعة أسماء، وإن كان بعض هذا لا يثبت عن النبي -صلى الله عليه وسلم- حيث جاء حديث موضوع في تسميتها بفسطاط القرآن، لكن الصحيح أن هذا من كلام التابعين.

والفسطاط يطلق على الخيمة، ويطلق على المدينة، وعلى كل فالفسطاط هو ما يحيط بغيره، فيكون قيل لها ذلك ربما لإحاطتها بكثير من الأحكام، حيث اشتملت على أحكام لم تشتمل عليها سورة مثلها، فهي أكثر السور اشتمالاً على الأحكام، وربما يكون لعظمتها وفضلها ومنزلتها وما أشبه ذلك، وعلى كل حال فسطاط القرآن تشتمل على أحكام كثيرة.

"قال بعض العلماء: وهي مشتملة على ألف خبر، وألف أمر، وألف نهي، وقال العادون: آياتها مائتان وثمانون وسبع آيات، وكلماتها ستة آلاف كلمة ومائتان وإحدى وعشرون كلمة، وحروفها خمسة وعشرون ألفاً وخمسمائة حرف، فالله أعلم."

وهذا أيضاً سبق الكلام عليه وذكر الخلاف في عدد كلماتها، وفي عدد حروفها، وذكرنا سبب هذا الخلاف، وأشرت إليه في أول هذه الدروس، فعلى كل حال الأمر في هذا سهل إذا عُرِف وجهه؛ لأن ذلك إنما يكون بسبب ما ذكرت من الأمور التي توجب هذا التفاوت، سواء في عدد الآيات أو في عدد السور، وأن مرجع ذلك إلى القراءة في بعض نواحيه، ومنه ما يرجع إلى طريقة العد، هل يعد الحرف المرسوم وإن لم ينطق به، وهل يعد الحرف المشدد حرفاً واحداً أو حرفين، وكذلك ما ينطق به ولا يكتب من الحروف في الرسم هل يعد أو ما يعد؟

"قال ابن جريح عن عطاء عن ابن عباس -رضي الله تعالى عنهما-: نزلت بالمدينة سورة البقرة، وقال خصيف عن مجاهد عن عبد الله بن الزبير -رضي الله تعالى عنهما- قال: نزلت بالمدينة سورة البقرة،

وهكذا قال غير واحد من الأئمة والعلماء والمفسرين ولا خلاف فيه، وروى ابن مردويه من حديث شعبة عن عقيل بن طلحة عن عتبة بن مرثد -رضي الله تعالى عنه- .

الظاهر أنه عتبة بن فرقد وليس ابن مرثد، هو هكذا في معجم الطبراني الكبير عتبة بن فرقد، صحابي سلمي. عن عتبة بن فرقد -رضي الله تعالى عنه-: رأى النبي -صلى الله عليه وسلم- في أصحابه تأخراً فقال: **((يا أصحاب سورة البقرة))**^(١٦) وأظن هذا كان يوم حنين يوم ولوا مدبرين".

أي نعم، كان يوم حنين، وجاء هذا في صحيح مسلم وفي غيره من حديث العباس لما أمره النبي -صلى الله عليه وسلم- أن يدعوهم، وجاء أيضاً من حديث شيبه العبدي -من بني عبد الدار- في قصته المعروفة لما خرج وهو يريد أن ينتقم من النبي -صلى الله عليه وسلم-، وكذلك أيضاً جاء عن غيره في بعض الروايات التي فيها ضعف، لكن عم النبي -صلى الله عليه وسلم-، وكذلك أيضاً جاء عن غيره في بعض الروايات التي فيها ضعف، لكن على كل حال لا شك أن النبي -صلى الله عليه وسلم- لما انهزموا في يوم حنين أمر العباس أن يدعوهم: **((يا أصحاب الشجرة، أو يا أصحاب السمرة، يا أصحاب سورة البقرة))**^(١٧)، وأصحاب السمرة المقصود بهم أصحاب الشجرة، يعني الذين بايعوا النبي -صلى الله عليه وسلم- تحت الشجرة **﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾** [سورة الفتح]، في صلح الحديبية، بايعوا النبي -صلى الله عليه وسلم-، فبعضهم يقول: على الموت، والمشهور والراجح أنهم بايعوه على ألا يفروا، وعلى كل حال جاء هذا في عدد من الأحاديث كما سبق، منها ما هو مرسل، ومنها ما هو غير ذلك.

"وأظن هذا كان يوم حنين يوم ولوا مدبرين، أمر العباس فناداهم: **((يا أصحاب الشجرة))** يعني أهل بيعة الرضوان، وفي رواية: **((يا أصحاب سورة البقرة))**؛ لينشطهم بذلك، فجعلوا يقبلون من كل وجه، وكذلك يوم اليمامة مع أصحاب مسيلمة، جعل الصحابة يفرون لكثافة جيش بني حنيفة، فجعل المهاجرون والأتصار يتنادون: يا أصحاب سورة البقرة، حتى فتح الله عليهم -رضي الله عن أصحاب رسول الله أجمعين- ."

يوم اليمامة كان جيش المسلمين فيه أعراب كثير، وكان هؤلاء الأعراب في أول الجيش، فلما حصلت المواجهة تضعفوا وانهزموا، فقام خالد بن الوليد -رضي الله عنه- فجمع أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم- ومن حضر من أهل بدر، فجعلهم في مقدم الجيش، وكان شعارهم يا أصحاب سورة البقرة، هذا الشعار يوم اليمامة، فثبتوا واشتد الناس، وقتل في أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم- مقتلة كبيرة، وكان ذلك سبباً في جمع القرآن لما أشار بذلك عمر -رضي الله عنه- كما في الصحيحين، فثبتوا ذلك الثبات العظيم، وفتح الله -عز وجل- عليهم.

على كل حال هذا جاء عن عروة بن الزبير -رضي الله تعالى عنه- وهو ثابت بإسناد صحيح عند عبد الرزاق وفي المصنف وابن أبي شيبه وسعيد بن منصور، يعني في يوم اليمامة.

16 - أخرجه الطبراني في الكبير (٣٢٨)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: رواه الطبراني وفيه علي بن قتيبة وهو ضعيف.
17 - أخرجه أحمد (١٧٧٥) (ج ١ / ص ٢٠٧) وابن حبان (٧٠٤٩) (ج ١٥ / ص ٥٢٣)، وصححه الألبان في المشكاة (٥٨٨٨).

"بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: {الم} * ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ * أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [١-٥] سورة البقرة.

{الم} الحروف المقطعة التي في أوائل السور، هي مما استأثر الله بعلمه.

على كل حال تذكرون في درس الجمعة أننا ذكرنا مسائل كثيرة تتعلق بالسورة كالكلام على موضوعها ومقصودها والقضايا التي ناقشتها، وربما حتى فواصل الآية يعني أواخر الآيات، آخر حرف أو آخر كلمة في الآية تنتهي بأي أحرف، مثل القوافي في الشعر، وقلنا: إنها تجمع بكلمتين (قم لندبر) بينما الفاتحة يجمع فواصلها حرفان هما الميم والنون، فالبقرة قم لندبر، فالعلماء منهم من يجعل ذلك لجميع سور القرآن، يعني كل سورة يذكر لها الحروف التي تنتهي فيها، ويجمعها بجملة أو بكلمة أو بكلمتين أو نحو هذا، فهذه الحروف التي تنتهي فيها الفواصل في هذه السورة مجموعة بـ (قم لندبر).

كذلك ذكرنا أشياء أخرى منها قضايا النسخ في هذه السورة، ودعاوى النسخ فيها، وقلنا: إن دعاوى قاربت أو بلغت ستاً وعشرين، لكن لا يثبت منها إلا القليل جداً في البقرة وفي غير البقرة.

"روي ذلك عن أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وابن مسعود -رضي الله تعالى عنهم أجمعين-."

ذكرنا أيضاً في ذلك الحين أن الحروف المقطعة فيها أقوال كثيرة، فبعضهم سرد فيها ستة وعشرين قولاً، وبعضهم يذكر أقل من هذا، وبعضهم ربما أوصلها إلى ثلاثين، وعند الاستقراء يمكن أن ترجع إلى أقوال محصورة، وفي ذلك الحين ذكرنا أنها ترجع إلى ثلاثة أقوال، يعني منهم من يقول: إن هذه الحروف المقطعة هي عبارة عن اقتضاب لأسماء أو أوصاف، أو لكلمات أول لجمل، وإنها عبارة عن رموز، وهذا يدخل تحته ثمانية أقوال مما قيل في ذلك، يعني من يقولون: إنها اختصار لجملة أو كلمة، لو جمعت الأقوال لأكثر من عشرين قولاً ستجد أن ثمانية منها ترجع إلى أنها عبارة عن رموز وإن اختلفوا في فك أو تفسير أو بيان المراد بهذه الرموز، وعلى كل حال هذا فيه نظر.

وبعضهم يقول: إنها عبارة عن أسماء، إما اسم للنبي -صلى الله عليه وسلم- أو للقرآن أو غير ذلك، أسماء أو أوصاف، وهذا وإن اختلفوا فيه لكنه يدخل تحته نحو أربعة أقوال مما قيل في تفسير هذه الحروف.

والثالث أنها حروف هجاء أي حروف المعجم، أو قل: حروف مباني، وقد سبق أن ذكرنا الفرق بين حروف المباني وحروف المعاني، ولكن هذه الحروف هي حروف معجم ليس لها معنى في نفسها بطبيعة الحال إذا قيل: إنها حروف معجم، أي ليس لها معنى في نفسها، وهذا يرجع إليه نحو أربعة عشر قولاً.

المقصود أن هذه الحروف ترمز لشيء معين، ومن أشهر الأقوال أنها ليس لها معنى في نفسها، لكن فيها إشارة إلى قضية التحدي والإعجاز، بمعنى أن هذا القرآن مكون من هذه الحروف التي تتركبون منها الكلام فأتوا بمثله.

بل إن بعض أهل العلم مثل ابن العربي قال: إن الحروف الواردة في أوائل السور -الحروف المقطعة- هي نصف الحروف الهجائية!! فهذا فيه إشارة أن القرآن ركب من نصف الحروف، فركبوا قرآناً آخر من النصف الباقي، لكن هذا القول لا يخلو من تكلف، وعلى كل حال الله تعالى أعلم.

لكن فيه ملحظ ذكره بعض أهل العلم مثل الشوكاني حيث نبه على قضيتين تفيد في هذا المعنى وهي أن على القول: إن لها معنى في نفسها هذا غير معهود في كلام الناس، وإن حاولوا أن يأتوا ببعض الألفاظ أو بعض الأشعار، كقول من قال: قلت لها قفي قالت قاف، لكن هذا غير متداول، فالناس حينما يخاطبون به لا يفهمون المراد.

الأمر الآخر أنها إذا كانت رموز وتحتاج إلى فك، وذكروا تحتها معاني كثيرة جداً غريبة عجيبة، فهذه الرموز هل عندهم أثارة من علم في فكها وتفسيرها بهذه الطريقة؛ لأنه لا يصل إليها الذهن بالاجتهاد، ولا يوجد شيء عن النبي -صلى الله عليه وسلم- إطلاقاً في هذا، فمن أين جاءوا بها وقد اختلفوا في فك هذه الرموز؟ فالله أعلم، وعلى كل حال فعل هذا القول من أقرب هذه الأقوال.

"وقيل: هي أسماء السور، وقيل: هي فواتح افتتح الله بها القرآن."

القول الأول الذي ذكره، حيث قال: هي مما استأثر الله بعلمه، هذا قال به جماعة من الأئمة، وبناءً على ذلك يكون قد وقع في القرآن ما يعرف بالمتشابه المطلق من جهة المعنى، بمعنى أنه يوجد في القرآن أشياء لا النبي -صلى الله عليه وسلم- يعرف معناها ولا غيره من الأمة، وهذا القول مشكل، وهو وجه في تفسير آية آل عمران **{وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ}** [(٧) سورة آل عمران] على الوقف هنا، والأقرب -والله تعالى أعلم- أن الوقف لا شك أنه ثابت صحح عن ابن عباس -رضي الله عنه- وعن غيره، والمراد بها على الوقف عند قوله: **{وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ}** حقائق الأمور الغيبية وكنهها، وما أشبه ذلك مما لا يمكن الإطلاع عليه إلا بالوحي، فليس المراد به التفسير، ولذلك يقال: لا يوجد في القرآن متشابه مطلق أبداً من جهة المعنى، وإنما يوجد فيه متشابه مطلق من جهة الكيفية، فأية آل عمران على الوقف **{وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ}** يقال: المتشابه هنا المطلق على الوقف المراد به حقائق الأشياء وكنهها، فالله لم يخاطبنا بألغاز في القرآن، وإنما أخبرنا عن هذا القرآن بأنه تبيان لكل شيء، وأنه بلسان عربي مبين.

القراءة بالوصل: **{وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ}**، يكون المراد بالتأويل هنا التفسير، يكون المراد به التفسير بالمعنى، وهو ثابت أيضاً عن ابن عباس، وقال: "أنا من الراسخين في العلم الذين يعلمون تأويله"، فكل هذا صحيح، لكن على هذا القول أن الحروف المتقطعة من المتشابه من أن هذا لا يعلمه إلا الله وإنما هو مما استأثره بعلمه، فيكون معنى ذلك أنه من المتشابه المطلق، لكن من قال: لها معنى وفسره فهي بالنسبة لمن لا يعرف ذلك من المتشابه النسبي، عند من يثبت لها معنى.

"وقال خصيف عن مجاهد أنه قال: فواتح السور كلها: **{ق}** و**{ص}** و**{حم}** و**{طسم}** و**{الر}**، وغير ذلك هجاء موضوع."

يعني هذه الفواتح التي مثل لبعضها، وكذلك ما لم يمتل له، هي هجاء موضوع، يعني بهجاء أنها حروف هجاء (أبجد هوز)، (أ، ب، ت، ث...).

الحروف -كما سبق- تنقسم إلى قسمين: حروف معنى، وحروف مبني. وحروف المعنى هي التي يجعلها النحاة القسم الثالث مما يتركب من الكلام، فهم يقولون: الكلام اسم وفعل وحرف جاء لمعنى، ويقصدون بحروف المعاني حروف الجر، فـ"إلى" تدل على الغاية، و"في" تدل على الظرفية وما أشبه ذلك.

فالنحاة يقولون في معنى الاسم: هو ما دل على معنى في نفسه ولم يقترن بزمان، والفعل هو ما دل على معنى في نفسه واقترن بزمان والحرف يقولون: هو ما لم يدل على معنى في نفسه ولم يقترن بزمان، وإنما هي للربط والوصل، وكلامهم هذا ردّ عليهم فيه شيخ الإسلام فقال: إن "في" تدل على الظرفية ولها معنى في نفسها... إلى آخره، مع أنهم يقصدون شيئاً آخر غير ما قصده شيخ الإسلام، والأمر في هذا سهل.

فعلى كل حال الشاهد هنا قوله: **حروف هجاء**: وحروف الهجاء -حروف المعجم- ليس لها قطعاً معنى في نفسها بالاتفاق، فـ "الباء" حينما تكون من حروف المعاني نقول عنها: حرف جر لها دلالة، تدل على المقاربة والملاصقة، لكن حينما نقول مثلاً: "بئر" فهذه الباء ليس لها معنى في نفسها إطلاقاً، وإنما لما تركبت مع غيرها صارت تمثل كلمة، فمن يقول: إن هذه حروف تهجي فمعنى ذلك أنها ليس لها معنى في نفسها؛ لأنه لا أحد يدعي أن حروف التهجي لها معنى في نفسها، وهذا هو المراد والله أعلم.

وهذه الأقوال المنتثرة، والتي ما ذكر منها هنا إلا أقل من القليل، يمكن أن تُرجع إلى الأقوال الثلاثة الأصلية. "وقال بعض أهل العربية: هي حروف من حروف المعجم، استغنى بذكر ما ذكر منها في أوائل السور عن ذكر بواقيها التي هي تتمة الثمانية والعشرين حرفاً."

بناءً على أن الحروف العربية تبلغ هذا العدد، وبعضهم يزيد حرفاً، فيقول: تسعة وعشرون على أن "لام ألف" حرف.

"كما يقول القائل: ابني يكتب في "أ ب ت ث" أي في حروف المعجم الثمانية والعشرين، فيستغنى بذكر بعضها عن مجموعها حكاه ابن جرير."

طريقة ترتيب الحروف بعضهم يجعلها: "أ ب ت ث" وبعضهم يجعلها: "أ ب ج د هـ... إلى آخره، ولذلك كتب القواميس والمعاجم أحياناً ما تجدها على الترتيب المعروف "أ ب ت ث" فيظن ظاناً أنه ترك بعض الكلمات، وهو ما تركها وإنما سار فيها على الطريقة الأخرى في الترتيب.

"قلت: مجموع الحروف المذكورة في أوائل السور بحذف المكرر منها أربعة عشر حرفاً."

هي طبعاً جاءت في تسع وعشرين سورة، وعامة هذه السور التي بُدئت بالحروف المقطعة هي من السور المكية، فالمدينة مثل البقرة وآل عمران، لكن عامة السور التي بدئت بالحروف المقطعة إنما هي من السور المكية.

يقول: "مجموع الحروف المذكورة في أوائل السور بحذف المكرر منها أربعة عشر حرفاً" ومن غير حذف المكرر تبلغ ثمانية وسبعين حرفاً.

"وهي "أ ل م ص ر ك هـ ي ع ط س ح ق ن" يجمعها قولك: "تص حكيم قاطع له سر".

يجمعها قولك: "تص حكيم قاطع له سر": ويمكن أن تجمعها جمل أخرى مثل: "ألم يسطع نور حق كره"، وبعضهم يركب غير هذا من الجمل من أسهلها: "طرق سمعك النصيحة".

"وهي نصف الحروف عدداً، والمذكور منها أشرف من المتروك."

نصف الحروف عدداً، والمذكور منها أشرف من المتروك: ما معنى أشرف من المتروك؟

الحروف تنقسم إلى حروف استعلاء وحروف استفال، فنجد أن المذكور هو الأشرف دائماً، فأشرف هذه الحروف هي المذكورة في نصف الحروف الهجائية.

"وبيان ذلك من صناعة التصريف، قال الزمخشري: وهذه الحروف الأربعة عشر مشتملة على أصناف أجناس الحروف، يعني من المهموسة والمجهورة ومن الرخوة والشديدة، ومن المطبقة والمفتوحة، ومن المستعلية والمنخفضة، ومن حروف القلقة."

بالنسبة للقلقة حروفها خمسة، والمذكور في أوائل السور منها أقل من النصف وليست النصف.

"وقد سردها مفصلة ثم قال: "فسبحان الذي دقت في كل شيء حكمته" وهذه الأجناس المعدودة مكثورة بالمذكورة منها."

هناك أشياء أخرى مثل الصفير ثلاثة حروف "السين" و"الصاد" و"الزاي" المذكورة منها في الحروف المقطعة في أوائل السور هي "السين" و"الصاد"، وما ذكرها الزمخشري، وكذلك الحروف اللينة ثلاثة، المذكور منها اثنان "الألف" و"الياء".

يقول ابن كثير: وقد سردها مفصلة: ثم جاء بكلام الزمخشري: فسبحان الذي دقت في كل شيء حكمته" وهذه الأجناس المعدودة مكثورة بالمذكورة منها: ما معنى قول الزمخشري: مكثورة بالمذكورة منها؟ أليست هذه الأحرف المذكورة كما قال هو: إنها النصف، فكيف صارت هي مكثورة؟

المقصود بذلك هو أن الأكثر تكرراً في القرآن واستعمالاً هي الحروف المذكورة في أوائل السور، أي هي أكثر ما يتكرر في تركيب الكلام في جميع القرآن، وقد عدوا كل حرف كم مرة ورد في القرآن، فالحروف المذكورة في أوائل السور هي الأكثر استعمالاً في القرآن، وهذا هو المراد بقوله: إنها مكثورة يعني الحروف المتروكة مكثورة بالمذكورة.

"وقد علمت أن معظم الشيء وجله ينزل منزلة كله."

معنى هذه العبارة أنه في حالة ما إذا أتى سائل معترض وقال: أنت تقول: إن هذه الحروف المقطعة في أوائل السور هي نصف الحروف الهجائية، والقرآن مركب من الحروف الهجائية الثمانية والعشرين، وتقول: إن الحروف المقطعة ليس لها معنى في نفسها ولكنها ترمز للتحدي من أن تأتي أحد بمثل هذا القرآن مركباً من هذه الحروف، فأين النصف الباقي من الحروف التي وردت في القرآن، فيقال: إن أغلب ما ركب منه الكلام هو النصف المذكور في أوائل السور، وما كان جل الشيء منه يمكن أن يعبر عنه بأنه الكل أو الجميع أو نحو ذلك من باب التغليب، والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

بسم الله الرحمن الرحيم

المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير (١)

بين يدي سورة البقرة وتفسير الآية الأولى منها

الشيخ/ خالد بن عثمان السبت

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .
قال المفسر -رحمه الله تعالى-:

تفسير سورة البقرة.

"في مسند أحمد وصحيح مسلم والترمذي والنسائي عن أبي هريرة -رضي الله تعالى عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: ((لا تجعلوا بيوتكم قبوراً فإن البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة لا يدخله الشيطان))^(١) وقال الترمذي: حسن صحيح."

ف قوله هنا: ((البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة)) قد يفهم من هذا القدر -مع البناء للمجهول- أن ذلك يحصل بمجرد القراءة، سواء كان عن طريق إنسان يقرأ في بيته أو عن طريق التسجيل فإن الشيطان يفر من هذا البيت، ولا شك أن القراءة تعبد الله -عز وجل- الناس بها، فالأكمل والأفضل أن يقرأ الناس في بيوتهم سورة البقرة، ولكن إذا حصل ذلك بالتسجيل أيضاً فيقال: لا يمنع؛ فكثير من الناس خاصة الذين يعانون من أشياء في بيوتهم يقولون: قد لا نتفرغ كل يوم لقراءة سورة البقرة، فإذا وضع التسجيل فإنه يكون مؤثراً في طرد الشيطان، وأثر ذلك مشاهد.

قبل أيام اتصلت إحدى النساء تقول: يوجد في بيتهم فأر كبير، يخرج من دورة المياه ويجلس تحت سرير النوم، تقول: فوضعنا له السم فأكل منه ثم اختفى ولم نجد له أثراً، تقول: وهذه الساعة تغطت جدران غرفة النوم بذباب كثير كبير الحجم على قدر رعوس الأصابع ما رأيت مثله، ولا يوجد له مدخل أصلاً، ولا يوجد من قبل ذباب في بيتنا أصلاً لا صغير ولا كبير، ولسنا في مكان زربية أو نحو ذلك.

فقلت لها: اجلسي الآن في نفس الغرفة، وافتحي النوافذ واقري سورة البقرة، فاتصلت عند العصر تقول: إن الذباب خرج بعد ما انتهيت من السورة.

ولا زلت أذكر شخصاً كان مغمى عليه أو شبه مغمى عليه حيث كان فيه مس، وكان يشغل شريطاً يقرأ سورة البقرة وكان هذا الشخص يبكي وهو نائم، ويتكلم بكلام مفاده أنه يرى الشيطان الذي يؤذيه ويصرعه، كان يراه يدور على البيت يحاول الدخول ولا يستطيع، وهو يقول لأصحابه: لا تغادروا المكان.

^١ - أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها - باب استحباب صلاة النافلة في بيته وجوازها في المسجد (٧٨٠) (ج ١ / ص ٥٣٩)، والترمذي في كتاب فضائل القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم - باب ما جاء في فضل سورة البقرة وآية الكرسي (٢٨٧٧) (ج ٥ / ص ١٥٧)، وأحمد (٩٠٣٠) (ج ٢ / ص ٣٨٨)، وصححه الألباني في تلخيص أحكام الجنائز (ج ١ / ص ٨٦).

لقد كان الشيطان يحاول أن يدخل ويدور على السور، وكان الرجل يتكلم ويبيكي وهو نائم ويحاول مد يده يريد أن يمسك يد أحدهم، وكان يقول: لا تذهبوا عني انتظروني، وكان يسميهم بأسمائهم كل ذلك وهو مغيب عن عقله.

هذا شيء رأيته، وعلى كل حال عندنا الحديث، والحمد لله، ما يحتاج أن نرى شواهد تدل عليه.
"عن عبد الله يعني ابن مسعود -رضي الله تعالى عنه- قال: "إن الشيطان يفر من البيت يسمع فيه سورة البقرة"^(٢) ورواه النسائي في اليوم والليلة وأخرجه الحاكم في مستدركه، ثم قال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

على كل حال مثل هذا لا يقال من جهة الرأي فله حكم الرفع، فهذه الأحاديث كلها في هذا المعنى وغير هذه الأحاديث.

بعض هذه الأحاديث مثل أثر ابن مسعود هذا فيه ضعف، وعدد من الأحاديث الواردة في هذا الباب فيها ضعف، لكن بعضها يجبر بالشواهد فترتقي إلى مرتبة الحسن، وبعضها ربما يكون دون ذلك، والله أعلم.
"وروى الدارمي في مسنده عن ابن مسعود -رضي الله تعالى عنه- قال: "ما من بيت تقرأ فيه سورة البقرة إلا خرج منه الشيطان وله ضراط"^(٣).

وهذا أيضاً من الروايات التي فيها ضعف، لكن بعض أهل العلم يجعل هذا مع غيره من قبيل الحسن، يعني أنه يتقوى بغيره، ولذلك خرجوه في هذا الكتاب.

وعلى كل حال يبقى أن أساس المعنى أو القدر الثابت هو أن الشيطان لا يمكن أن يبقى في بيت تقرأ فيه سورة البقرة.

"وروي أيضاً من طريق الشعبي قال: قال عبد الله بن مسعود -رضي الله تعالى عنه-: "من قرأ عشر آيات من سورة البقرة في ليلة لم يدخل ذلك البيت شيطان تلك الليلة، أربع من أولها وآية الكرسي وآيتان بعدها وثلاث آيات من آخرها"^(٤)، وفي رواية: "لم يقربه ولا أهله يومئذ شيطان ولا شيء يكرهه، ولا يُقرآن على مجنون إلا أفاق"^(٥).

وعن سهل بن سعد -رضي الله تعالى عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: ((إن لكل شيء سناماً، وإن سنام القرآن البقرة، وإن من قرأها في بيته ليلة لم يدخله الشيطان ثلاث ليال، ومن قرأها في بيته نهاراً لم يدخله الشيطان ثلاثة أيام))^(٦) رواه أبو القاسم الطبراني وأبو حاتم وابن حبان في صحيحه، وابن مردويه.

2 - سنن النسائي الكبرى - كتاب عمل اليوم والليلة (١٠٨٠٠) (ج ٦ / ص ٢٤٠)، وصحيح الترغيب والترهيب (ج ٢ / ص ٨٦).

3 - سنن الدارمي (٣٣٧٥) (ج ٢ / ص ٥٣٩)، قال حسين سليم أسد: إسناده ضعيف فطر متأخر السماع من أبي إسحاق السبيعي.

4 - سنن الدارمي (٣٣٨٢) (ج ٢ / ص ٥٤١)، والطبراني في الكبير (٨٦٧٣) (ج ٩ / ص ١٣٧)، وقال حسين سليم أسد: رجاله ثقات غير أنه منقطع الشعي لم يسمع من ابن مسعود.

5 - سنن الدارمي (٣٣٨٣) (ج ٢ / ص ٥٤١)، وقال حسين سليم أسد: إسناده منقطع كسابقه.

6 - أخرجه ابن حبان في صحيحه (٧٨٠) (ج ٣ / ص ٥٩)، والطبراني في الكبير (٥٨٦٤) (ج ٦ / ص ١٦٣) وأبو يعلى في مسنده (٧٥٥٤) (ج ١٣ / ص ٤٦٥)، وقال الألباني في

صحيح الترغيب والترهيب (ج ٢ / ص ٨٧): حسن لغيره.

وهذا الحديث أيضاً فيه ضعف في الإسناد، ولكن الجملة الأولى: ((إن لكل شيء سناماً، وإن سنام القرآن البقرة)) ورد فيه أيضاً روايات أخرى ضعيفة عن ابن مسعود وعن ثلاثة من الصحابة أو أربعة، وكلها لا يخلو من ضعف، ولكن بعض أهل العلم يري أن هذه الجملة تتقوى بغيرها من الروايات، وهذه الروايات الضعيفة يقوي بعضها بعضاً، فيرون أن هذه الجملة: ((إن لكل شيء سناماً وإن سنام القرآن البقرة)) ترتقي إلى مرتبة الحسن.

"وقد روى الترمذي والنسائي وابن ماجه عن أبي هريرة -رضي الله تعالى عنه- قال: "بعث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بعثاً وهم ذوو عدد، فاستقرأهم فاستقرأ كل رجل منهم ما معه من القرآن، فأتى على رجل منهم من أحدثهم سناً فقال: ((ما معك يا فلان؟)) قال: معي كذا وكذا وسورة البقرة، قال: ((أمعك سورة البقرة؟)) فقال: نعم، قال: ((فأذهب فأنت أميرهم)) فقال رجل من أشرافهم: والله يا رسول الله ما منعني أن أتعلم سورة البقرة إلا خشية ألا أقوم بها، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: ((تعلموا القرآن فاقروه وأقروه، فإن مثل القرآن لمن تعلمه فقراه وقام به كمثل جراب محشو مسكاً يفوح بريحه كل مكان، ومثل من تعلمه فبرقه وهو في جوفه كمثل جراب وكى على مسك))^(٧) هذا لفظ رواية الترمذي، ثم قال: هذا حديث حسن، ثم رواه مرسلًا فالله أعلم."

معنى: ((جراب وكى على مسك)) يعني رُبط فلا تظهر رائحته.

وعلى كل حال حتى هذه الرواية من الروايات التي يمكن أن يقال عنها: إنها لا تخلو من ضعف في أقل الأحوال، وبعض أهل العلم يحسنها، وهذا ما فعله هؤلاء المختصرون.

"وروى البخاري عن أسيد بن حضير -رضي الله تعالى عنه- قال: بينما هو يقرأ من الليل سورة البقرة وفرسه مربوط عنده إذ جالت الفرس فسكت فسكنت، فقرأ فجالت الفرس، فسكت فسكنت الفرس، ثم قرأ فجالت الفرس، فانصرف وكان ابنه يحيى قريباً منها فأشفق أن تصيبه، فلما اجتره رفع رأسه إلى السماء حتى ما يراها، فلما أصبح حدث النبي -صلى الله عليه وسلم- فقال: ((اقرأ يا ابن حضير اقرأ يا ابن حضير))، قال: فأشفت يا رسول الله أن تطأ يحيى وكان منها قريباً فرفعت رأسي وانصرفت إليه فرفعت رأسي إلى السماء فإذا مثل الظلة فيها أمثال المصابيح فخرجت حتى لا أراها، قال: ((وتدري ما ذاك؟))، قال: لا، قال: ((تلك الملائكة دنت لصوتك، ولو قرأت لأصبحت ينظر الناس إليها لا تتوارى منهم))^(٨)، وهكذا رواه الإمام العالم أبو عبيد القاسم بن سلام في كتاب فضائل القرآن، والله أعلم.

قال الإمام أحمد: حدثنا أبو نعيم حدثنا بشر بن مهاجر حدثني عبد الله بن بريدة عن أبيه -رضي الله تعالى عنه- قال: كنت جالساً عند النبي -صلى الله عليه وسلم- فسمعتة يقول: ((تعلموا سورة البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة))، قال: ثم سكت ساعة ثم قال: ((تعلموا سورة البقرة وآل عمران فإنهما الزهراوان يظلان صاحبهما يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيايتان أو فرقان من طير صواف، وإن القرآن يلقي صاحبه يوم القيامة حين ينشق عنه قبره كالرجل الشاحب، فيقول له: هل تعرفني؟ فيقول: ما

7 - أخرجه الترمذي في كتاب: فضائل القرآن - باب: ما جاء في فضل سورة البقرة وآية الكرسي (٢٨٧٦) (ج ٥ / ص ١٥٦)، وضعفه الألباني في ضعيف الترمذي برقم: (٥٤١).

8 - أخرجه البخاري في كتاب: فضائل القرآن - باب: باب نزول السكينة والملائكة عند قراءة القرآن (٤٧٣٠) (ج ٤ / ص ١٩١٦) والطبراني في الأوسط (١٨٠) (ج ١ / ص ٦٤).

أعرفك، فيقول: أنا صاحبك القرآن الذي أظمأتك في الهواجر وأسهرت ليلك، وإن كل تاجر من وراء تجارته، وإنك اليوم من وراء كل تجارة، فيعطى الملك بيمينه والخذ بشماله ويوضع على رأسه تاج الوقار، ويكسى والداه حلتين لا يقوم لهما أهل الدنيا، فيقولان: بما كسينا هذا؟ فيقال: بأخذ ولدكما القرآن، ثم يقال: اقرأ واصعد في درج الجنة وغرفها، فهو في صعود ما دام يقرأ هذاً كان أو ترتيلاً^(٩).

وروى ابن ماجه من حديث بشر بن المهاجر بعضه، وهذا إسناد حسن على شرط مسلم.

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد:

فهذا الحديث في فضل سورة البقرة، أما أوله وهو أن سورة البقرة كما قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: ((فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة)) فإن هذا له شواهد، وهو ثابت عن رسول الله -

صلى الله عليه وسلم-، وإن كان هذا الحديث من رواية بشر بن المهاجر.

وأما بقية الحديث وذلك من قوله بعد ذلك: ((وإن القرآن يلقي صاحبه يوم القيامة حين ينشق عنه قبره كالرجل الشاحب)) فإن لبعضه شواهد، ولكن ما قبله له شواهد صحيحة ثابتة من أول الحديث إلى هذا القدر، كما سيأتي فيما ذكره ابن كثير -رحمه الله- لذلك فإن بعض أهل العلم يصحح أول هذا الحديث ((إن أخذها بركة))، وكذلك ما جاء من قوله: ((تعلموا سورة البقرة وآل عمران فإنهما الزهراوان يظلان صاحبهما يوم القيامة، كأنهما غماتان..)) إلى آخره، وأما بقية الحديث فبعض الجمل التي لها شاهد يمكن أن تكون من قبيل الحسن لتلك الشواهد.

على كل حال الإشكال في بشر بن المهاجر، ومن ضعف روايته رد بقية الحديث، والحاصل أن بشر بن المهاجر فيه كلام كثير، بعضهم يضعفه، وبعضهم يبالغ في هذا، وبعضهم يجعل روايته من قبيل المقبول أو يوثقه، وصنيع المختصر هنا يدل دلالة أكيدة على أنه يحسن الحديث في أقل الأحوال.

قوله: ((فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة)): البطلة يعني السحرة.

ومعنى ((لا تستطيعها البطلة)) يعني: أي لا يمكنهم حفظها، أو أن من تحصن بها فإن السحرة لا يقدرّون على إيصال سحرهم إليه.

وقوله: ((تعلموا سورة البقرة وآل عمران فإنهما الزهراوان)) المقصود بالأزهر المضيء، يقال: سراج يزهر أي يضيء.

قوله: ((يظلان صاحبهما يوم القيامة كأنهما غماتان أو غيايتان)) وفي بعض الألفاظ: ((غيايتان)) بالباء، الغمام معروف وهو السحاب، و الغيايتان: كل شيء أظلك فهو غياية سواء كان من سحاب أو غبار أو غير ذلك، والغيايتان بـ الباء: هو أيضاً من هذا المعنى.

((أو فرقان من طير صواف)) أي تصف أجنحتها، وذلك أبلغ في التضليل.

"فمن ذلك حديث أبي أمامة الباهلي -رضي الله تعالى عنه- رواه الإمام أحمد.

⁹ - أخرج الشطر الأول منه الإمام أحمد (٢٣٠٩٩) (ج ٥ / ص ٣٦١)، وأخرجه بتسامه بألفاظ مقاربة الطبراني في الكبير (٧٥٤٢) (ج ٨ / ص ١١٨)، وذكره الحاكم في المستدرک (٢٠٥٧) (ج ١ / ص ٧٤٧) وأصله في صحيح مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها- باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة (٨٠٤) (ج ١ / ص ٥٥٣).

وعنه قال سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: ((اقرأوا القرآن فإنه شافع لأهله يوم القيامة، اقرعوا الزهراوين البقرة وآل عمران فإنهما يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان، أو كأنهما غيابتان، أو كأنهما فرقان من طير صواف يحاجان عن أهلها يوم القيامة، ثم قال: اقرعوا البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة))^(١٠) وقد رواه مسلم في الصلاة.

الزهراوان: المنيرتان، والغياية: ما أظلك من فوقك، والفرق: القطعة من الشيء، والصواف: المصطفة المتضامة، والبطلة: السحرة، ومعنى لا تستطيعها أي لا يمكنهم حفظها، وقيل: لا تستطيع النفوذ في قارئها، والله أعلم.

ومن ذلك حديث النواس بن سمعان -رضي الله تعالى عنه- رواه الإمام أحمد عنه قال: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: ((يؤتى بالقرآن يوم القيامة وأهله الذين كانوا يعملون به تقدمهم سورة البقرة وآل عمران))، وضرب لهما رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ثلاثة أمثال ما نسيتهن بعد، قال: ((كأنهما غمامتان أو ظلتان سوداوان بينهما شرق، أو كأنهما فرقان من طير صواف يحاجان عن صاحبهما))^(١١) ورواه مسلم والترمذي وقال حسن غريب.

معنى ((بينهما شرق)): يعني بينهما فاصل.

وهذا الحديث يفسر الحديث الذي قبله، فإن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال في الذي قبله: ((فإنهما يأتيان يوم القيامة..)) إلى أن قال: ((يحاجان عن أهلها)): فما المراد بـ أهلها هل هو مجرد الحفظ إن كان حافظاً لهما؟

لا، بل إن المقصود يفسره قول النبي -صلى الله عليه وسلم-: ((يؤتى بالقرآن يوم القيامة وأهله الذين كانوا يعملون به))، فأصحاب البقرة وآل عمران هم الذين يحفظونها ويفهمون معانيهما ويعملون بهما، ولهذا بقي ابن عمر -رضي الله عنه- ثمان سنين يحفظ سورة البقرة، وبقي عمر -رضي الله عنه- اثنتي عشرة سنة يحفظها، ثم نحر جزوراً ودعا الناس فرحاً واستبشاراً بهذا الإنجاز.

ولذلك كان الرجل إذا أخذ البقرة عظم في أعينهم؛ لأنه صار فقيهاً؛ لأنها تشتمل على أكثر الأحكام، فهي أكثر سور القرآن اشتمالاً على الأحكام وأطول سور القرآن، فمن عرف هذه الأحكام التي في سورة البقرة، فإنه يمر به كثير مما يذكر في التفسير بعدها، فتكون بقية الأمور التي تذكر في الغالب مكررة، أعني مما يحتاج إليه في فهم التفسير من جهة الأصول، والقواعد وما أشبه ذلك.

وعلى كل حال هنا سؤال يرد في مثل هذه الأحاديث وهو أن هاتين السورتين تأتيان كأنهما ظلتان أو غيابتان، ومعلوم أن القرآن كلام الله -عز وجل- وهو صفة من صفاته، فما المراد بذلك؟

المراد بذلك الثواب أي: ثواب القرآن أو قل: ثواب وأجر قراءة سورة البقرة وآل عمران وأجر العمل والتدبر لهما، والله أعلم، وهذا الذي ذكره جماعة من أهل العلم كالإمام أحمد والبخاري، وذكره شيخ الإسلام ابن تيمية

¹⁰ - صحيح مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها- باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة (٨٠٤) (ج ١ / ص ٥٥٣).

¹¹ - أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها- باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة (٨٠٥) (ج ١ / ص ٥٥٤)، والترمذي في كتاب: فضائل القرآن عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- باب: ما جاء في سورة آل عمران (٢٨٨٣) (ج ٥ / ص ١٦٠).

-رحمه الله- في المجلد الخامس من الفتاوى في صفحة ثلاثمائة وسبعة وتسعين تقريباً، وكذلك ابن القيم في مختصر الصواعق صفحة أربعمائة تقريباً من الجزء الثاني في المختصر، وكذلك ذكره الترمذي قبلهم، ذكره في السنن.

كذلك الأحاديث الأخرى مثل قوله صلى الله عليه وسلم- كما في الصحيحين-: **(مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأترجة))**، جاء في لفظ البخاري: **(المؤمن الذي يقرأ القرآن ويعمل به كالأترجة))**^(١٢)، فلا بد من العمل بالقرآن أي أن مجرد القراءة لا تكفي.

وكذلك الحديث الآخر: **(الماهر بالقرآن مع السفارة الكرام البررة))** جاء في بعض الروايات الثابتة في الصحيح: **(مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن وهو يحفظه مع السفارة الكرام البررة))**^(١٣) يعني مع الملائكة، والسفيرة أي: سفراء بين الله وخلقه، فيكون بهذه المنزلة إذا كان يحفظ وليس مجرد أن يقرأ مجرد قراءة، وقوله: **(والذي يقرأ القرآن ويتتبع فيه وهو عليه شاق له أجران))**^(١٤) يعني يتتبع في الحفظ، أي أن حفظه فيه ضعف.

وأما بالنسبة لحديث: **(يَوْمَ الْقَوْمِ أَقْرؤُهُمْ لِكِتَابِ اللَّهِ))**^(١٥) فهي مسألة أخرى إذ يحتمل أن يكون على ظاهره، والمقصود به الأحفظ؛ لأنه قال بعده: **(أعلمهم بالسنة))**؛ لأن الفقه يكون بالعلم بالسنة مع القرآن فلا يكون فقيهاً ما لم يعلم بالسنة، فظاهر هذا يدل على أن المقصود الحفظ.

ويحتمل معنى آخر وهو أن يكون في ذلك الحين أقرأهم أي يكون فقيهاً، كما سبق في ذكر ابن عمر أنه حفظ سورة البقرة في ثمان سنين، ولذلك إذا قيل: القراء في ذلك الوقت -كأن يقال: قتل سبعون من القراء في بئر معونة- فهؤلاء علماء وليسوا مجرد حفاظ أو كثيري القراءة فقط، فهم ما كانوا مثلنا الآن، تجد الواحد يحفظ ولا يفهم شيئاً مما يحفظ، فقول القائل: دخل القراء على عمر -وكان القراء هم أهل مجلسه- المقصود بهم العلماء، وكذلك ما ورد من بعض الآثار بأن أكثر مناقبي هذه الأمة قراؤها فإن المقصود به أهل العلم وطلاب العلم.

"والبقرة جميعها مدنية بلا خلاف، وهي من أوائل ما نزل بها، لكن قوله تعالى فيه: **{وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ}** [سورة البقرة] الآية، يقال: إنها آخر ما نزل من القرآن."

سورة البقرة لا شك أنها سورة مدنية، وهذا نقل عليه الإجماع غير واحد، وهي أول سورة نزلت في المدينة، لكنها لم تنزل جملةً.

12 - أخرجه البخاري في كتاب: فضائل القرآن - باب: إثم من رأى بقراءة القرآن أو تأكل به أو فخر به (٤٧٧٢) (ج ٤ / ص ١٩٢٨)، ومسلم في كتاب: صلاة المسافرين وقصرها - باب: فضيلة حافظ القرآن (٧٩٧) (ج ١ / ص ٥٤٩) واللفظ للبخاري.

13 - أخرجه البخاري في كتاب: التفسير - باب: تفسير سورة عيس (٤٦٥٣) (ج ٤ / ص ١٨٨٢)، ومسلم في كتاب: صلاة المسافرين وقصرها - باب: فضل الماهر بالقرآن والذي يتتبع فيه (٧٩٨) (ج ١ / ص ٥٤٩) واللفظ للبخاري.

14 - أخرجه البخاري في كتاب: التفسير - باب: تفسير سورة عيس (٤٦٥٣) (ج ٤ / ص ١٨٨٢)، ومسلم في كتاب: صلاة المسافرين وقصرها - باب: فضل الماهر بالقرآن والذي يتتبع فيه (٧٩٨) (ج ١ / ص ٥٤٩) واللفظ لمسلم.

15 - أخرجه مسلم في كتاب: المساجد ومواضع الصلاة - باب: من أحق بالإمامة (٦٧٣) (ج ١ / ص ٤٦٥).

وهنا ابن كثير يشير إلى أن بعضها قد تأخر نزوله فهي نزلت مفارقةً، ولذلك فإن آخر ما نزل من القرآن على الإطلاق على الراجح أنها الآيات التي في آخر سورة البقرة -آيات الربا وقوله تعالى: **{وَأَتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ}** وآية الدين، ولذلك فمن قال: إن آخر ما نزل آية الدين فلا شك أنها في الترتيب هي آخر هذه الآيات نزولاً بالترتيب، فيصح أن يقال: إن هذا آخر ما نزل من القرآن، بمعنى أنها نزلت مجتمعة أعني هذه الآيات التي في آخر البقرة، وهذا أقوى ما قيل في آخر ما نزل مطلقاً، كل ذلك مع أن سورة البقرة هي أول سورة نزلت في المدينة، لكن آخر ما نزل من السور هي سورة براءة ولم تنزل كاملة.

وآخر ما نزل من السور مشتملة على الأحكام سورة المائدة، لهذا تجدون في بعض الروايات أن سورة المائدة هي آخر ما نزل، والمعنى في الأحكام، وسورة براءة آخر ما نزل من السور وليس جميع سورة براءة، إذ من المعلوم أن صدرها نزل عام تسع في حجة أبي بكر -رضي الله تعالى عنه- وجملة كبيرة منها نزلت في مرجع النبي -صلى الله عليه وسلم- من غزوة تبوك.

"يقال: إنها آخر ما نزل من القرآن ويحتمل أن تكون منها، وكذلك آيات الربا من آخر ما نزل، وكان خالد ابن معدان يسمي البقرة فسطاط القرآن."

خالد يسمي هذه السورة بسورة الفسطاط، وسبق الكلام على هذا في الكلام على أسماء السورة، حيث ذكرنا لها نحو سبعة أسماء، وإن كان بعض هذا لا يثبت عن النبي -صلى الله عليه وسلم- حيث جاء حديث موضوع في تسميتها بفسطاط القرآن، لكن الصحيح أن هذا من كلام التابعين.

والفسطاط يطلق على الخيمة، ويطلق على المدينة، وعلى كل فالفسطاط هو ما يحيط بغيره، فيكون قيل لها ذلك ربما لإحاطتها بكثير من الأحكام، حيث اشتملت على أحكام لم تشتمل عليها سورة مثلها، فهي أكثر السور اشتمالاً على الأحكام، وربما يكون لعظمتها وفضلها ومنزلتها وما أشبه ذلك، وعلى كل حال فسطاط القرآن تشتمل على أحكام كثيرة.

"قال بعض العلماء: وهي مشتملة على ألف خبر، وألف أمر، وألف نهي، وقال العادون: آياتها مائتان وثمانون وسبع آيات، وكلماتها ستة آلاف كلمة ومائتان وإحدى وعشرون كلمة، وحروفها خمسة وعشرون ألفاً وخمسمائة حرف، فالله أعلم."

وهذا أيضاً سبق الكلام عليه وذكر الخلاف في عدد كلماتها، وفي عدد حروفها، وذكرنا سبب هذا الخلاف، وأشرت إليه في أول هذه الدروس، فعلى كل حال الأمر في هذا سهل إذا عُرِف وجهه؛ لأن ذلك إنما يكون بسبب ما ذكرت من الأمور التي توجب هذا التفاوت، سواء في عدد الآيات أو في عدد السور، وأن مرجع ذلك إلى القراءة في بعض نواحيه، ومنه ما يرجع إلى طريقة العد، هل يعد الحرف المرسوم وإن لم ينطق به، وهل يعد الحرف المشدد حرفاً واحداً أو حرفين، وكذلك ما ينطق به ولا يكتب من الحروف في الرسم هل يعد أو ما يعد؟

"قال ابن جريح عن عطاء عن ابن عباس -رضي الله تعالى عنهما-: نزلت بالمدينة سورة البقرة، وقال خصيف عن مجاهد عن عبد الله بن الزبير -رضي الله تعالى عنهما- قال: نزلت بالمدينة سورة البقرة،

وهكذا قال غير واحد من الأئمة والعلماء والمفسرين ولا خلاف فيه، وروى ابن مردويه من حديث شعبة عن عقيل بن طلحة عن عتبة بن مرثد -رضي الله تعالى عنه- .

الظاهر أنه عتبة بن فرقد وليس ابن مرثد، هو هكذا في معجم الطبراني الكبير عتبة بن فرقد، صحابي سلمي. عن عتبة بن فرقد -رضي الله تعالى عنه-: رأى النبي -صلى الله عليه وسلم- في أصحابه تأخراً فقال: **((يا أصحاب سورة البقرة))**^(١٦) وأظن هذا كان يوم حنين يوم ولوا مدبرين".

أي نعم، كان يوم حنين، وجاء هذا في صحيح مسلم وفي غيره من حديث العباس لما أمره النبي -صلى الله عليه وسلم- أن يدعوهم، وجاء أيضاً من حديث شيبه العبدي -من بني عبد الدار- في قصته المعروفة لما خرج وهو يريد أن ينتقم من النبي -صلى الله عليه وسلم-، وكذلك أيضاً جاء عن غيره في بعض الروايات التي فيها ضعف، لكن عم النبي -صلى الله عليه وسلم-، وكذلك أيضاً جاء عن غيره في بعض الروايات التي فيها ضعف، لكن على كل حال لا شك أن النبي -صلى الله عليه وسلم- لما انهزموا في يوم حنين أمر العباس أن يدعوهم: **((يا أصحاب الشجرة، أو يا أصحاب السمرة، يا أصحاب سورة البقرة))**^(١٧)، وأصحاب السمرة المقصود بهم أصحاب الشجرة، يعني الذين بايعوا النبي -صلى الله عليه وسلم- تحت الشجرة **﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾** [سورة الفتح]، في صلح الحديبية، بايعوا النبي -صلى الله عليه وسلم-، فبعضهم يقول: على الموت، والمشهور والراجح أنهم بايعوه على ألا يفروا، وعلى كل حال جاء هذا في عدد من الأحاديث كما سبق، منها ما هو مرسل، ومنها ما هو غير ذلك.

"وأظن هذا كان يوم حنين يوم ولوا مدبرين، أمر العباس فناداهم: **((يا أصحاب الشجرة))** يعني أهل بيعة الرضوان، وفي رواية: **((يا أصحاب سورة البقرة))**؛ لينشطهم بذلك، فجعلوا يقبلون من كل وجه، وكذلك يوم اليمامة مع أصحاب مسيلمة، جعل الصحابة يفرون لكثافة جيش بني حنيفة، فجعل المهاجرون والأتصار يتنادون: يا أصحاب سورة البقرة، حتى فتح الله عليهم -رضي الله عن أصحاب رسول الله أجمعين- ."

يوم اليمامة كان جيش المسلمين فيه أعراب كثير، وكان هؤلاء الأعراب في أول الجيش، فلما حصلت المواجهة تضعفوا وانهزموا، فقام خالد بن الوليد -رضي الله عنه- فجمع أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم- ومن حضر من أهل بدر، فجعلهم في مقدم الجيش، وكان شعارهم يا أصحاب سورة البقرة، هذا الشعار يوم اليمامة، فثبتوا واشتد الناس، وقتل في أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم- مقتلة كبيرة، وكان ذلك سبباً في جمع القرآن لما أشار بذلك عمر -رضي الله عنه- كما في الصحيحين، فثبتوا ذلك الثبات العظيم، وفتح الله -عز وجل- عليهم.

على كل حال هذا جاء عن عروة بن الزبير -رضي الله تعالى عنه- وهو ثابت بإسناد صحيح عند عبد الرزاق وفي المصنف وابن أبي شيبه وسعيد بن منصور، يعني في يوم اليمامة.

16 - أخرجه الطبراني في الكبير (٣٢٨)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: رواه الطبراني وفيه علي بن قتيبة وهو ضعيف.
17 - أخرجه أحمد (١٧٧٥) (ج ١ / ص ٢٠٧) وابن حبان (٧٠٤٩) (ج ١٥ / ص ٥٢٣)، وصححه الألبان في المشكاة (٥٨٨٨).

"بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: {الم} * ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ * أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [(١-٥) سورة البقرة].

{الم} الحروف المقطعة التي في أوائل السور، هي مما استأثر الله بعلمه.

على كل حال تذكرون في درس الجمعة أننا ذكرنا مسائل كثيرة تتعلق بالسورة كالكلام على موضوعها ومقصودها والقضايا التي ناقشتها، وربما حتى فواصل الآية يعني أواخر الآيات، آخر حرف أو آخر كلمة في الآية تنتهي بأي أحرف، مثل القوافي في الشعر، وقلنا: إنها تجمع بكلمتين (قم لندبر) بينما الفاتحة يجمع فواصلها حرفان هما الميم والنون، فالبقرة قم لندبر، فالعلماء منهم من يجعل ذلك لجميع سور القرآن، يعني كل سورة يذكر لها الحروف التي تنتهي فيها، ويجمعها بجملة أو بكلمة أو بكلمتين أو نحو هذا، فهذه الحروف التي تنتهي فيها الفواصل في هذه السورة مجموعة بـ (قم لندبر).

كذلك ذكرنا أشياء أخرى منها قضايا النسخ في هذه السورة، ودعاوى النسخ فيها، وقلنا: إن دعاوى قاربت أو بلغت ستاً وعشرين، لكن لا يثبت منها إلا القليل جداً في البقرة وفي غير البقرة.

"روي ذلك عن أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وابن مسعود -رضي الله تعالى عنهم أجمعين- ."

ذكرنا أيضاً في ذلك الحين أن الحروف المقطعة فيها أقوال كثيرة، فبعضهم سرد فيها ستة وعشرين قولاً، وبعضهم يذكر أقل من هذا، وبعضهم ربما أوصلها إلى ثلاثين، وعند الاستقراء يمكن أن ترجع إلى أقوال محصورة، وفي ذلك الحين ذكرنا أنها ترجع إلى ثلاثة أقوال، يعني منهم من يقول: إن هذه الحروف المقطعة هي عبارة عن اقتضاب لأسماء أو أوصاف، أو لكلمات أول لجملة، وإنها عبارة عن رموز، وهذا يدخل تحته ثمانية أقوال مما قيل في ذلك، يعني من يقولون: إنها اختصار لجملة أو كلمة، لو جمعت الأقوال لأكثر من عشرين قولاً ستجد أن ثمانية منها ترجع إلى أنها عبارة عن رموز وإن اختلفوا في فك أو تفسير أو بيان المراد بهذه الرموز، وعلى كل حال هذا فيه نظر.

وبعضهم يقول: إنها عبارة عن أسماء، إما اسم للنبي -صلى الله عليه وسلم- أو للقرآن أو غير ذلك، أسماء أو أوصاف، وهذا وإن اختلفوا فيه لكنه يدخل تحته نحو أربعة أقوال مما قيل في تفسير هذه الحروف.

والثالث أنها حروف هجاء أي حروف المعجم، أو قل: حروف مباني، وقد سبق أن ذكرنا الفرق بين حروف المباني وحروف المعاني، ولكن هذه الحروف هي حروف معجم ليس لها معنى في نفسها بطبيعة الحال إذا قيل: إنها حروف معجم، أي ليس لها معنى في نفسها، وهذا يرجع إليه نحو أربعة عشر قولاً.

المقصود أن هذه الحروف ترمز لشيء معين، ومن أشهر الأقوال أنها ليس لها معنى في نفسها، لكن فيها إشارة إلى قضية التحدي والإعجاز، بمعنى أن هذا القرآن مكون من هذه الحروف التي تركيبون منها الكلام فأتوا بمثله.

بل إن بعض أهل العلم مثل ابن العربي قال: إن الحروف الواردة في أوائل السور -الحروف المقطعة- هي نصف الحروف الهجائية!! فهذا فيه إشارة أن القرآن ركب من نصف الحروف، فركبوا قرآناً آخر من النصف الباقي، لكن هذا القول لا يخلو من تكلف، وعلى كل حال الله تعالى أعلم.

لكن فيه ملحظ ذكره بعض أهل العلم مثل الشوكاني حيث نبه على قضيتين تفيد في هذا المعنى وهي أن على القول: إن لها معنى في نفسها هذا غير معهود في كلام الناس، وإن حاولوا أن يأتوا ببعض الألفاظ أو بعض الأشعار، كقول من قال: قلت لها قفي قالت قاف، لكن هذا غير متداول، فالناس حينما يخاطبون به لا يفهمون المراد.

الأمر الآخر أنها إذا كانت رموز وتحتاج إلى فك، وذكروا تحتها معاني كثيرة جداً غريبة عجيبة، فهذه الرموز هل عندهم أثارة من علم في فكها وتفسيرها بهذه الطريقة؛ لأنه لا يصل إليها الذهن بالاجتهاد، ولا يوجد شيء عن النبي -صلى الله عليه وسلم- إطلاقاً في هذا، فمن أين جاءوا بها وقد اختلفوا في فك هذه الرموز؟ فالله أعلم، وعلى كل حال فعل هذا القول من أقرب هذه الأقوال.

"وقيل: هي أسماء السور، وقيل: هي فواتح افتتح الله بها القرآن."

القول الأول الذي ذكره، حيث قال: هي مما استأثر الله بعلمه، هذا قال به جماعة من الأئمة، وبناءً على ذلك يكون قد وقع في القرآن ما يعرف بالمتشابه المطلق من جهة المعنى، بمعنى أنه يوجد في القرآن أشياء لا النبي -صلى الله عليه وسلم- يعرف معناها ولا غيره من الأمة، وهذا القول مشكل، وهو وجه في تفسير آية آل عمران **{وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ}** [(٧) سورة آل عمران] على الوقف هنا، والأقرب -والله تعالى أعلم- أن الوقف لا شك أنه ثابت صحح عن ابن عباس -رضي الله عنه- وعن غيره، والمراد بها على الوقف عند قوله: **{وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ}** حقائق الأمور الغيبية وكنهها، وما أشبه ذلك مما لا يمكن الإطلاع عليه إلا بالوحي، فليس المراد به التفسير، ولذلك يقال: لا يوجد في القرآن متشابه مطلق أبداً من جهة المعنى، وإنما يوجد فيه متشابه مطلق من جهة الكيفية، فآية آل عمران على الوقف **{وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ}** يقال: المتشابه هنا المطلق على الوقف المراد به حقائق الأشياء وكنهها، فالله لم يخاطبنا بألغاز في القرآن، وإنما أخبرنا عن هذا القرآن بأنه تبيان لكل شيء، وأنه بلسان عربي مبين.

القراءة بالوصل: **{وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ}**، يكون المراد بالتأويل هنا التفسير، يكون المراد به التفسير بالمعنى، وهو ثابت أيضاً عن ابن عباس، وقال: "أنا من الراسخين في العلم الذين يعلمون تأويله"، فكل هذا صحيح، لكن على هذا القول أن الحروف المتقطعة من المتشابه من أن هذا لا يعلمه إلا الله وإنما هو مما استأثره بعلمه، فيكون معنى ذلك أنه من المتشابه المطلق، لكن من قال: لها معنى وفسره فهي بالنسبة لمن لا يعرف ذلك من المتشابه النسبي، عند من يثبت لها معنى.

"وقال خصيف عن مجاهد أنه قال: فواتح السور كلها: **{ق}** و**{ص}** و**{حم}** و**{طسم}** و**{الر}**، وغير ذلك هجاء موضوع."

يعني هذه الفواتح التي مثل لبعضها، وكذلك ما لم يمتل له، هي هجاء موضوع، يعني بهجاء أنها حروف هجاء (أبجد هوز)، (أ، ب، ت، ث...).

الحروف -كما سبق- تنقسم إلى قسمين: حروف معنى، وحروف مبني. وحروف المعنى هي التي يجعلها النحاة القسم الثالث مما يتركب من الكلام، فهم يقولون: الكلام اسم وفعل وحرف جاء لمعنى، ويقصدون بحروف المعاني حروف الجر، فـ"إلى" تدل على الغاية، و"في" تدل على الظرفية وما أشبه ذلك.

فالنحاة يقولون في معنى الاسم: هو ما دل على معنى في نفسه ولم يقترن بزمان، والفعل هو ما دل على معنى في نفسه واقترن بزمان والحرف يقولون: هو ما لم يدل على معنى في نفسه ولم يقترن بزمان، وإنما هي للربط والوصل، وكلامهم هذا ردّ عليهم فيه شيخ الإسلام فقال: إن "في" تدل على الظرفية ولها معنى في نفسها... إلى آخره، مع أنهم يقصدون شيئاً آخر غير ما قصده شيخ الإسلام، والأمر في هذا سهل.

فعلى كل حال الشاهد هنا قوله: **حروف هجاء**: وحروف الهجاء -حروف المعجم- ليس لها قطعاً معنى في نفسها بالاتفاق، فـ "الباء" حينما تكون من حروف المعاني نقول عنها: حرف جر لها دلالة، تدل على المقاربة والملاصقة، لكن حينما نقول مثلاً: "بئر" فهذه الباء ليس لها معنى في نفسها إطلاقاً، وإنما لما تركبت مع غيرها صارت تمثل كلمة، فمن يقول: إن هذه حروف تهجي فمعنى ذلك أنها ليس لها معنى في نفسها؛ لأنه لا أحد يدعي أن حروف التهجي لها معنى في نفسها، وهذا هو المراد والله أعلم.

وهذه الأقوال المنتثرة، والتي ما ذكر منها هنا إلا أقل من القليل، يمكن أن تُرجع إلى الأقوال الثلاثة الأصلية. "وقال بعض أهل العربية: هي حروف من حروف المعجم، استغنى بذكر ما ذكر منها في أوائل السور عن ذكر بواقيها التي هي تتمة الثمانية والعشرين حرفاً."

بناءً على أن الحروف العربية تبلغ هذا العدد، وبعضهم يزيد حرفاً، فيقول: تسعة وعشرون على أن "لام ألف" حرف.

"كما يقول القائل: ابني يكتب في "أ ب ت ث" أي في حروف المعجم الثمانية والعشرين، فيستغنى بذكر بعضها عن مجموعها حكاه ابن جرير."

طريقة ترتيب الحروف بعضهم يجعلها: "أ ب ت ث" وبعضهم يجعلها: "أ ب ج د هـ... إلى آخره، ولذلك كتب القواميس والمعاجم أحياناً ما تجدها على الترتيب المعروف "أ ب ت ث" فيظن ظاناً أنه ترك بعض الكلمات، وهو ما تركها وإنما سار فيها على الطريقة الأخرى في الترتيب.

"قلت: مجموع الحروف المذكورة في أوائل السور بحذف المكرر منها أربعة عشر حرفاً."

هي طبعاً جاءت في تسع وعشرين سورة، وعامة هذه السور التي بُدئت بالحروف المقطعة هي من السور المكية، فالمدينة مثل البقرة وآل عمران، لكن عامة السور التي بدئت بالحروف المقطعة إنما هي من السور المكية.

يقول: "مجموع الحروف المذكورة في أوائل السور بحذف المكرر منها أربعة عشر حرفاً" ومن غير حذف المكرر تبلغ ثمانية وسبعين حرفاً.

"وهي "أ ل م ص ر ك هـ ي ع ط س ح ق ن" يجمعها قولك: "تص حكيم قاطع له سر".

يجمعها قولك: "تص حكيم قاطع له سر": ويمكن أن تجمعها جمل أخرى مثل: "ألم يسطع نور حق كره"، وبعضهم يركب غير هذا من الجمل من أسهلها: "طرق سمعك النصيحة".

"وهي نصف الحروف عدداً، والمذكور منها أشرف من المتروك."

نصف الحروف عدداً، والمذكور منها أشرف من المتروك: ما معنى أشرف من المتروك؟

الحروف تنقسم إلى حروف استعلاء وحروف استفال، فنجد أن المذكور هو الأشرف دائماً، فأشرف هذه الحروف هي المذكورة في نصف الحروف الهجائية.

"وبيان ذلك من صناعة التصريف، قال الزمخشري: وهذه الحروف الأربعة عشر مشتملة على أصناف أجناس الحروف، يعني من المهموسة والمجهورة ومن الرخوة والشديدة، ومن المطبقة والمفتوحة، ومن المستعلية والمنخفضة، ومن حروف القلقة."

بالنسبة للقلقة حروفها خمسة، والمذكور في أوائل السور منها أقل من النصف وليست النصف.

"وقد سردها مفصلة ثم قال: "فسبحان الذي دقت في كل شيء حكمته" وهذه الأجناس المعدودة مكثورة بالمذكورة منها."

هناك أشياء أخرى مثل الصفير ثلاثة حروف "السين" و"الصاد" و"الزاي" المذكورة منها في الحروف المقطعة في أوائل السور هي "السين" و"الصاد"، وما ذكرها الزمخشري، وكذلك الحروف اللينة ثلاثة، المذكور منها اثنان "الألف" و"الياء".

يقول ابن كثير: وقد سردها مفصلة: ثم جاء بكلام الزمخشري: فسبحان الذي دقت في كل شيء حكمته" وهذه الأجناس المعدودة مكثورة بالمذكورة منها: ما معنى قول الزمخشري: مكثورة بالمذكورة منها؟ أليست هذه الأحرف المذكورة كما قال هو: إنها النصف، فكيف صارت هي مكثورة؟

المقصود بذلك هو أن الأكثر تكرراً في القرآن واستعمالاً هي الحروف المذكورة في أوائل السور، أي هي أكثر ما يتكرر في تركيب الكلام في جميع القرآن، وقد عدوا كل حرف كم مرة ورد في القرآن، فالحروف المذكورة في أوائل السور هي الأكثر استعمالاً في القرآن، وهذا هو المراد بقوله: إنها مكثورة يعني الحروف المتروكة مكثورة بالمذكورة.

"وقد علمت أن معظم الشيء وجله ينزل منزلة كله."

معنى هذه العبارة أنه في حالة ما إذا أتى سائل معترض وقال: أنت تقول: إن هذه الحروف المقطعة في أوائل السور هي نصف الحروف الهجائية، والقرآن مركب من الحروف الهجائية الثمانية والعشرين، وتقول: إن الحروف المقطعة ليس لها معنى في نفسها ولكنها ترمز للتحدي من أن تأتي أحد بمثل هذا القرآن مركباً من هذه الحروف، فأين النصف الباقي من الحروف التي وردت في القرآن، فيقال: إن أغلب ما ركب منه الكلام هو النصف المذكور في أوائل السور، وما كان جل الشيء منه يمكن أن يعبر عنه بأنه الكل أو الجميع أو نحو ذلك من باب التغليب، والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.